الأيام
الخميس ٢٠١٥/٥/٢٨م الموافق ١٠ شعبان ١٤٣٦ هـ العدد ٦٩٦٢ السنة العشرون
AL-AYYAM Thursday 28/5/2015 Issue No. 6962 Volume 20

طرطشات

بقلم: د. فتحي أبو مُغلي

• ربع صفحة

أثار تقرير للجنة مصرية أكاديمية جدلاً واسعاً حول ما جاء فيه من أن متوسط ما يقرؤه الإنسان العربي في العام الواحد هو ربع صفحة، فقد اعتمدت اللجنة في الوصول لهذه النتيجة على عدد ما يطبع من الكتب في العالم العربي مقارنة بعدد السكان، برأيي أن التقرير يجب أن لا يفاجئنا ونحن نعلم أن نسبة الأمية الهجائية في بعض الدول العربية تتجاوز 50% من عدد السكان، ولو أضيف لهذه النسبة المتعلمون الذين لم يقرؤوا في حياتهم أكثر من الحد الأدنى اللازم لوصولهم للمؤهل العلمي الأساسي، ولو أضفنا لهؤلاء نسبة المواطنين العرب الذين فقدوا الأمل في إمكانية التحول الديمقراطي في بلادهم وفي قدرتهم على التعبير الحر عن آرائهم، وبالتالي فقدوا الأمل من جدوى القراءة واكتساب المعرفة فقد نصل الى نتيجة مشابهة أو قريبة من التي وصلت إليها اللجنة المذكورة.

• الى متى

إذعاناً للمطالبات العنصرية قررت إسرائيل تطبيق إجراء عنصري جديد على فلسطينيي الضفة الغربية، الذين يتوجهون يومياً إلى إسرائيل للعمل بمنعهم من ركوب الحافلات ذاتها مع الإسرائيليين، ثم تراجعت عن قرارها وجمدت التنفيذ نتيجة الضغوط الدولية، علماً ان آلاف العمال الفلسطينيين، الذين يعملون في إسرائيل يتعرضون للتفتيش عبر 4 نقاط تفتيش للذهاب إلى أماكن عملهم وعند عودتهم إلى الضفة الغربية، فإلى متى سيبقى شبابنا عرضة للإهانات والممارسات العنصرية خلال سعيهم للقمة العيش؟ والى متى سنبقى وسيبقى العالم يغض النظر عن العنصرية الصهيونية؟

• نظافة اليد

عندما يستلم شخص ما، واحداً من أرفع المناصب في بلده، ثم يموت مُورثاً ولده مبلغاً من المال يقل عن خمسين دولاراً، فهذا الإنسان يستحق أن ينصب له اكثر من تمثال وان تدرس أخلاقياته في المدارس، للأسف هذا لم يحدث مع رئيس وزراء مصر الأسبق محمد صدقي سليمان الذي كان له فضلٌ كبير في بناء السد العالي والذي قال عنه شيخ الأزهر السابق، لم أرَ في تواضعه شخصا آخر. محمد صدقي سليمان مات فقيراً ويعيش ابنه في وضع مالي بائس لدرجة أن زوجة الابن ناشدت رئيس الوزراء المصري الحالي مساعدتها في علاج زوجها ابن رئيس وزراء مصر الأسبق على نفقة الدولة.

• هش ونش

من العادات المحببة لدى الفلسطينيين، شواء اللحوم على الفحم، وهذا هو سبب الانتشار الواسع للمطاعم التي تقدم وجبات الشواء، إضافة لما يتم من هش ونش على شرفات المنازل، هذه العادات مهددة بالانقراض نتيجة الوضع الاقتصادي الفلسطيني السيئ ونتيجة الغلاء الفاحش وغير المبرر لأسعار اللحوم. المواطن الفلسطيني اليوم وتحت ضغط الوضع الاقتصادي المتردي وارتفاع معدلات البطالة وغلاء الأسعار بدأ يفقد اهتمامه بالأوضاع السياسية والهم الوطني العام وأصبح هاجسه الرئيسي هو الحياة اليومية والشؤون الاقتصادية والرغبة في العيش بكرامة.

fathiabumoghli@gmail.com

على حواف عدوان آخر ....

بقلم: طلال عوكل

القصف الإسرائيلي الذي قامت به طائرات حربية على مواقع تدعي إسرائيل أنها لسرايا القدس، ذلك القصف يتجاوز على نحو واضح الرد على ما قيل عن صاروخ سقط في مواقع فارغة جنوب إسرائيل وهو أيضاً لا يقف عند حدود رسالة قصيرة، تنطوي على بعد ردعي لأي عمل يستهدفها.

تعترف مصادر عسكرية بأن حركة حماس ليست مسؤولة عن إطلاق الصاروخ، وان سكان قطاع غزة، لا يرغبون في أي تصعيد للموقف مع إسرائيل، لكن طبيعة الرد الذي استهدف بنحو عشر غارات جوية على مناطق في بيت لاهيا وخان يونس ورفح، لا يتناسب مع هذا الاعتراف.

تعرف إسرائيل، ويعرف كل من يتابع الشأن الفلسطيني في قطاع غزة، أن إطلاق مثل هذه الصواريخ، على النحو المحدود جداً الذي وقع يعود لأسباب تتصل بخلافات داخلية في تنظيم معين، أو بين بعض التنظيمات، ما يعني ان المسألة تتجاوز الحسابات السياسية والعسكرية.

الرد الإسرائيلي لم يكن ليستدعي تعطيل المدارس، والنزول الى الغرف الآمنة، من قبل سكان بعض المستوطنات في غلاف غزة، ولكن لان القصف الإسرائيلي الذي وقع اول امس الثلاثاء، يندرج في سياق التحضير لعدوان قادم كان لا بد ان يتخذ المستوطنون جانب الحذر. من يتابع السياسة الإسرائيلية وما تحضر له من مخططات، لفرضها على الفلسطينيين، قبل متابعة التصريحات والتحليلات التي يقدمها كتاب إسرائيليون، يدرك منطقياً أن اسرائيل مقبلة على شن عدوان واسع على قطاع غزة، بعض مصادر المعارضة الإسرائيلية تراه قريباً لا يتجاوز نهاية هذا العام.

بعض المواطنين الفلسطينيين في قطاع غزة، يربطون بين عدوان يتوقعونه بشهر رمضان، على غرار ما وقع خلال عدوان الواحد وخمسين يوماً، التي وقعت العام الماضي وكانت خلال النصف الأول من شهر رمضان.

الحكومة الإسرائيلية التي تجيد اختراع المهارب من الأزمات التي تتصل بموضوع المفاوضات، والمبادرات، وآخرها التحرك الذي قامت به مسؤولة العلاقات الخارجية في الاتحاد الأوروبي فدريكا موغريني، ابتدعت هذه المرة فكرة البحث لتحديد حدود المستوطنات، طبعاً هذا عدا عن الشروط المعروفة واهمها اعتراف الفلسطينيين بيهودية الدولة.

قبل ذلك كان نتنياهو قد طرح استعداده للبحث فيما أسماه بالتسوية الإقليمية، بعد ان كان طرح سابقاً فكرة السلام الاقتصادي. كل هذه الطروحات والمخارج مرفوضة من قبل الطرف الفلسطيني، ونظن أن الأوروبيين يدركون المغزى الأساسي من وراء تقديمها من قبل الجانب الإسرائيلي، غير ان هذا الادراك لا يعني ان الأمور والخيارات ستكون سهلة، في حال تقدمت أوروبا برؤيا تنسجم والأفكار التي تتضمنها المبادرة الفرنسية إلى مجلس الأمن.

بعيداً عن كل هذه المناورات، والمبادرات الأوروبية أو غيرها وبعيدا عن طبيعة المأزق الفلسطيني، فقد أصبح من الواضح للقيادة الفلسطينية ان إسرائيل تعمل على استراتيجية مغايرة، لفرض ما يسمى بدولة غزة، لكن إقناع الأوروبيين، سيكون صعباً، حيث ستطلب أوروبا من الفلسطينيين الإجابة عن أسئلتها وليس عن أسئلة الإسرائيليين.

حسب الاستراتيجية الإسرائيلية فإن الحرب المقبلة على قطاع غزة، تصبح ضرورة، لأسباب عديدة، تتصل بدفع مخطط دولة غزة قدماً بأقل قدر من الإشكاليات.

أولاً لا يمكن لإسرائيل أن توافق بأي حال من الأحوال على تظهير وبلورة دولة غزة، وهي مدججة بالأسلحة والكتائب المسلحة، فلقد رفضت إسرائيل دائماً الاعتماد على المواثيق والاتفاقيات لضمان امنها. الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية تعتمد على ضمان تجريد الآخر من أي سلاح يمكن أن يستعمل ضدها في أي وقت، بالإضافة إلى ضمان تفوقها وقدرتها على الردع. إسرائيل لا تقبل وجود بنية تحتية، وأنفاق هجومية حتى لو تم الاتفاق على هدنة طويلة، وهي عبر وسطاء يتحدثون الى حماس تصر على شرط نزع سلاح المقاومة، وهو أمر من الصعب الحصول عليه ان لم يكن من المستحيل.

ثانياً: تسويق مشروع دولة غزة المفروض فرضاً على الفلسطينيين يحتاج الى حرب، تؤدي في نهايتها الى اتفاق كان يمكن ان يكون قد وقع بعد حرب الواحد وخمسين يوماً، وحين ادعت إسرائيل ان عدوانها نجح في تدمير اكثر من سبعين في المئة من الأنفاق ومن قدرات المقاومة، ولكن تشكيل الوفد الفلسطيني الوطني الموحد هو ما منع ذلك. هذا يعني ان تعطل المصالحة، وتدهور العلاقات بين حركتي فتح وحماس، قد يفتح الباب ويوفر الذرائع بعد عدوان قادم، لأن تتفرد حماس بالمفاوضة.

ثالثاً: يمكن هذا العدوان إسرائيل من التهرب من التحرك الأوروبي وربما يؤدي مرة أخرى إلى تأجيل المبادرة الفرنسية على خلفية الظروف التي يخلقها مثل هذا العدوان. في كل حال فإن تعطل عملية إعادة الإعمار يذكرنا بخطة إعادة الأعمار بعد عدوان 2008، ما يعني ان إعمار غزة، والإفراج عنها، لن يأتي الا بعد عدوان آخر يوفر الظروف لإعادة إعمار كجزء من استكمال البنية الأساسية لدولة غزة.

نضال متعدد الأشكال والوسائل والأدوات

بقلم: حمادة فراعنة

سعى نتنياهو كي يكون اجتماعه الأول مع النائب الفلسطيني أيمن عودة رئيس كتلة القائمة العربية اليهودية المشتركة يوم الخميس 21 أيار 2015، اجتماع علاقات عامة بهدف تحسين سمعته، وإظهار نفسه على أنه رئيس حكومة جميع المواطنين، بمن فيهم الوسط العربي الفلسطيني في مناطق 48، أبناء الجليل والمثلث والنقب ومدن الساحل المختلطة، ودوافعه لهذا اللقاء الذي تم بناء على طلبه، محاولة تبديد الانطباعات الدولية المتراكمة حول اتساع سياسة التمييز والإقصاء التي مارستها حكومات تل أبيب المتعاقبة، وزادت في عهد إداراته السابقة 2013 - 2015، حيث تم خلالها تشريع العديد من القوانين العنصرية المؤذية بحق المواطنين العرب، بمبادرة من حكومته وحزبه ومن قبل شركائه في الائتلاف، إضافة إلى أن برنامج حكومته الحالية في غاية السوء والانحدار في إظهار التمييز الفاقع سواء الإقرار بتنفيذ قانون برافر ضد أهالي النقب، والعمل على تدمير قرية حورة، وبناء مجمعات يهودية على أنقاضها وغيرها من السياسات ذات الطابع العنصري، ولذلك كان لقاؤه مع أيمن عودة، الذي فرضته الأحداث الجارية، والتطور الذي طرأ على المشهد السياسي الإسرائيلي، انعكاساً لسببين جوهريين هما:

أولاً: لأن سياسته المتطرفة المعبرة عن برنامج التحالف الذي يقوده مع باقي أحزاب الائتلاف اليميني ذات النزعة والسلوك العنصري الإقصائي ضد المواطنين الفلسطينيين العرب الذين يشكلون خُمس المجتمع الإسرائيلي، وتصريحاته الهوجاء وتحريضه المعلن ضد المصوتين العرب، دفعت الرئيس الأميركي لانتقاده وتوجيه اللوم له، وترك هذا أثراً بليغاً عن فحوى سياسة تل أبيب العنصرية لدى الأوروبيين وقطاع من الأميركيين، وكشفها وتعريتها، وهي سياسة تراكمية، تدفع نحو تحرير الأوروبيين قبل الأميركيين من عقدة تبني سياسات المشروع الاستعماري التوسعي الإسرائيلي ودعمها، بل تُعطيهم الشجاعة نحو توجيه النقد لها، والتخلص من أن يبقوا أسرى السياسة التقليدية التي شكلت غطاء للسياسة الإسرائيلية، نظراً لكون السياسة الإسرائيلية وإجراءاتها لم تعد احتلالية توسعية استيطانية في مناطق 67 وحسب، بل عنصرية تمييزية إقصائية في مناطق 48، وهو تطور بليغ ومهم، دفعت بالرئيس أوباما لأن يقول ما قاله بحق نتنياهو، وبحق سياسة إسرائيل التي تتعارض في سلوكها العنصري مع القيم الديمقراطية الأميركية والأوروبية.

والثاني: التحالف بين المكونات السياسية الأربعة الفاعلة لدى الوسط العربي في مناطق 48، الجبهة الديمقراطية برئاسة النائب أيمن عودة، والحركة الإسلامية برئاسة النائب مسعود غنايم، والتجمع الوطني برئاسة النائب جمال زحالقة، والحركة العربية للتغيير برئاسة النائب أحمد الطيبي، وخوضهم الانتخابات بقائمة مشتركة ناجحة، ظهرت نتيجته عبر الانتخابات وطغى على المشهد السياسي بحضور شعب آخر برز وجوده، وهوية إضافية، وقومية ثانية، داخل إسرائيل، لم يستطع المشروع الاستعماري التوسعي الإسرائيلي هضمها، وتبديد وجودها، وطمس هويتها وقوميتها ومواطنتها خلال عشرات السنين، ما استوجب التعامل معهم أو بحث إمكانات التفاهم والتعاون معهم، باعتبارهم حقيقة بشرية قائمة لها خصوصيتها ومصالحها وأولوياتها على أرض بلادها منذ مئات السنين، فشلت الصهيونية ومشروعها وأدواتها بترحيلهم كما حصل مع باقي أبناء شعبهم الذين تم طردهم وتشريدهم وترحيلهم من مدنهم وقراهم الأصلية عامي 1948 و1967.

ولذلك يمكن الاستخلاص أن ثمة حقيقتين ماثلتين متصادمتين على الأرض الواحدة : حقيقة الوجود العربي الفلسطيني في مناطق 48 كجزء لا يتجزأ من مكونات الشعب العربي الفلسطيني، وحقيقة التطرف والعنصرية وسياسة الإقصاء التي تنتهجها حكومات المشروع الاستعماري التوسعي الإسرائيلي، والمتراكمة نحو المواطنين العرب الفلسطينيين في مناطق 48.

وكشف أيمن عودة فحوى ما جرى في اللقاء الذي أكد له نتنياهو خلاله على أهمية العمل المتواصل لتقليص الفجوات داخل المجتمع الإسرائيلي، واقترح إجراء حوار منظم بين طاقم حكومي من الوزراء، وبين النواب العرب في البرلمان، بهدف إعداد خطة اجتماعية اقتصادية لمعالجة القضايا التي تخص المواطنين العرب.

وقال أيمن عودة في أعقاب اللقاء مع نتنياهو : «خرجت الآن من لقاء غير سهل مع رئيس الحكومة، كنت خلاله ممثلاً للأقلية الأكبر في هذه البلاد، هذه الأقلية التي اختار رئيس الحكومة وكجزء من حملته الانتخابية المخزية أن يحرض ضدها وضد مواطنة أفرادها، لقد تفوهت بأقوال بهذه الروح أمام رئيس الحكومة وأنا أعيد وأكرر بأنه لا يعقل أن يقوم رئيس الحكومة بإصدار تصريحات ضد تصويت المواطنين».

وأضاف: «من ناحيتي كان اللقاء لقاء عمل، في الفترة التي يعيش فيها الجمهور العربي في ضائقة صعبة ومتزايدة، وفي الوقت الذي تقض مضاجع الناس أزمة سكن لا يمكن احتواؤها، والتهديدات بهدم عشرات الآلاف من البيوت وإلقاء عشرات الآلاف من المواطنين إلى الشارع بدون مأوى، ولعل المثال الأصعب والأشد، من الفترة الأخيرة هو نية الحكومة هدم قرية أم الحيران من أجل بناء بلدة يهودية على أنقاضها».

وأضاف أيمن عودة قائلا: «عرضت على رئيس الحكومة خطة إصلاحات مفصلة في مجال التخطيط في البلدات العربية، بالإضافة إلى المطالبة الواضحة بشكل فوري لوقف عمليات هدم البيوت، وبدء حوار مع المواطنين بهدف إيجاد حلول حقيقية وقانونية لأزمة السكن في القرى غير المعترف بها».

وأضاف «تباحثت مع رئيس الحكومة في الحاجة لإيجاد وظائف نوعية للشباب والشابات العرب، تباحثنا في الحاجة إلى قيام الوزارات بتخصيص الميزانيات للوسط العربي، ومنح ميزانيات للمجالس المحلية العربية والاستثمار في التعليم العالي في الوسط العربي».

وأردف عودة قائلا: «للأسف مع هذه الحكومة يبدو أن كل محاولة لبحث إنهاء الاحتلال والتوصل لسلام عادل يبدو وكأنه مهزلة عبثية، كما ظهر الأمر في جلسة التصويت على تشكيلة الحكومة، وليس كحوار من شأنه أن يفضي لنتائج حقيقية، ولكن شعرت أن علي أن أكرر أمام رئيس الوزراء أن الشعب الفلسطيني يستحق الحرية والعيش تحت الشمس بالإضافة إلى أن السلام العادل هو مصلحة عامة لكل المواطنين العرب واليهود على حد سواء».

رسالة مهمة استكمالية وضرورية، أن ندركها جميعها والمتمثلة بالنضال الوطني الفلسطيني المتعدد الأشكال والوسائل والأدوات على الجبهات الثلاث : 1- النضال من أجل التخلص من التمييز والعنصرية وتحقيق المساواة في مناطق 48، 2- النضال من أجل كنس الاحتلال والاستيطان والتهويد وتحقيق الحرية والاستقلال لمناطق 67، و3- النضال من أجل حق عودة اللاجئين إلى القرى والمدن التي طردوا منها عام 1948، واستعادة ممتلكاتهم فيها ومنها وعليها.

h.faraneh@yahoo.com

«روابي» : ظاهرة عمرانية مدهشة

بقلم: د. عبد المجيد سويلم

لم أكن أتوقع أن لدينا مشروعاً عمرانياً بهذه الضخامة، وهذه الرؤية وهذه الارادة على الحلم.

فقبل كل شيء فإن بناء أي تجمع عمراني بمقاييس اصغر من مدينة او ضاحية على الأرض الفلسطينية يعتبر إنجازاً في مواجهة الاستيطان، بل ويعتبر مكسباً في مواجهة ما هو قادم من مخططات إسرائيلية لالتهام كل ما يمكن أن تصل اليه أيديها او بالأحرى جرافاتها ودباباتها.

وعندما أُنجزت المراحل الأولى من ضاحية الريحان أصبحنا ندرك ان القطاع العام يمكنه ان ينجز مشاريع كبيرة وجادة في قطاعات مختلفة بما فيها الإسكان.

صحيح ان الإسكانات التي يتم إنجازها حول مدينة رام الله ما زالت «أعلى» من حيث الأسعار من الإسكانات الشعبية، لكن ما يميزها عموماً هو انها إسكانات «لائقة» بالمقارنة مع السعر، إضافة إلى تحضير بنية تحتية لائقة أيضاً.

في مطلق الأحوال فإن القطاع العام وعلى أسس اقتصادية قدم من خلال ضاحية الريحان مثالاً على أننا نستطيع.

أما في مدينة روابي فإن القطاع الخاص يقدم مثالاً مختلفاً بالاتجاه الإيجابي طبعاً.

في العادة فإن قيام أو إنشاء المدن الجديدة مسألة تكون متعذرة بدون تخطيط الدولة والمساهمة الفاعلة فيها، وغالباً ما يعهد الى القطاع الخاص، المحلي او حتى القادم من الخارج بتنفيذ المقاولات في المجالات المختلفة. كما يمكن للقطاع الخاص أن يكون شريكاً مع الدولة او القطاع العام في بعض الأحيان، أما ان يقوم القطاع الخاص بتولي كامل العملية - عملية بناء مدينة جديدة - فإن المسألة هنا لا بد وأن تثير الإعجاب وهي تستحق كل الاحترام والتقدير، وهذه المسألة بالذات هي ميزة مثيرة ومفرحة وتبعث برسالة قوية بأننا، ليس مجرد أننا نستطيع، وإنما تجاوزنا فعلاً مرحلة «شرف المحاولة» وعبرنا الى ضفة القدرة والسيطرة والإنجاز.

عندما ينبري القطاع الخاص ببناء مدينة من المخطط لها أن تستوعب ما يزيد على أربعين ألف فلسطينية وفلسطيني، وعندما يعرف هذا القطاع الخاص ان هامش الربح قد تقلص إلى الحدود الدنيا بحكم ان هذا الربح لن يبدأ قبل عدة سنوات من الآن وقبل تسويق عدة آلاف من الشقق في اطار هذه السنوات، وعندما يتكلف هذا القطاع الخاص بكامل البنية التحتية للمدينة والتي هي بالأصل وفي العادة وفي الغالب من مهمات الدولة، ومن الطبيعي ان تكون المسؤولة عن توفيرها، وعندما - فوق كل ذلك - يصر القطاع الخاص على انجاز مدينة بمواصفات عصرية محملة بأبعاد ورؤى ثقافية واجتماعية عالية القيمة والجودة، منفتحة ومتنورة وتنوعية ... عندما يعرف القطاع الخاص كل ذلك ويصر على الإنجاز بهذه المواصفات وفي حدود هوامش الربح المؤجلة فإن علينا هنا أن نرفع القبّعة.

نحن في الواقع أمام مدينة أقرب إلى الرقمية، مدينة ذكية مجبولة بالحداثة، إنها نافذة مشرعة على المستقبل، وفيها رمزيات قوية من هذا المستقبل.

في المدينة مسرح مفتوح هو الأكبر في الشرق الأوسط وواحد من أكبر المسارح في العالم، روماني الهيئة ويوناني المظهر تستحضر فيه روابي المسرح الروماني في عمان والجنوبي في جرش وفي بصرى وفي أماكن مختلفة من بلاد الشرق العربي الذي أقامت فيه مطولاً الحضارة الرومانية واليونانية قبل الحضارة الإسلامية.

وفي المدينة أيضاً مشروع ضخم لمركز ثقافي هو من حيث الكلفة مشروع دولة، وفي المدينة أيضاً بنية كاملة للتعليم وبنية متكاملة للتسوق والترفيه ولقضاء وقت ممتع ومفيد، إضافة إلى دور العبادة من مسجد وكنيسة.

هذا البعد الاجتماعي والثقافي للمدينة من حيث القيمة والمغزى، وهذه الرؤية التي تظهر في المشهد الخلفي للمدينة، هذه الفلسفة في رؤية المدينة الفلسطينية الحديثة هو الذي يميزها.

انها على ما يبدو - مدينة للطبقة الوسطى - كما قال لي أحد الأصدقاء المؤمنين بفلسفة المدينة. مدينة لفئات من الفنيين والخبراء الناشئين، ومن فئات تبحث عن العيش الهادئ والنظيف والمتطور في آن معاً.

بطبيعة الحال يمكن ان تكون المسافة بين روابي ومدينة رام الله احد «معوقات» التسويق المتسارع للمشروع، ذلك لان مفهوم المسافة في الثقافة الفلسطينية يختلف عنه في ثقافة البلدان الواسعة او الممتدة من حيث المساحة والمكتظة من حيث عدد السكان ومن حيث كثرة المنشآت والورش والمصانع والمؤسسات.

في بعض البلدان الغربية وربما أكثريتها تعتبر انت محظوظاً للغاية إذا استغرقت مجرد نصف ساعة للوصول صباحاً إلى عملك، اما عندنا فإن هذا الوقت ما زال كثيرا او بالأحرى طويلاً في الثقافة العامة.

صحيح أن هذا المفهوم آخذ بالتغير لان لدينا آلاف الموظفين الذين يقضون وقتاً اطول للوصول الى رام الله صباحاً والعودة منها، وصحيح اننا أصبحنا «نعاني» من أزمات سير داخلية خانقة أحياناً في معظم المدن الفلسطينية الكبيرة مثل نابلس والخليل، ولكن عوائق التواصل التي يضعها الاحتلال أمام حركة وتنقل الفلسطينيين تزيد من «تعقيدات» النظرة الى مفهوم المسافة.

مع ذلك كله فإن هجرة مراكز المدينة نحو الضواحي آخذة بالتنامي وهذا مؤشر جيد عموما.

نتذكر طبعاً ويجب ان نتذكر ان هجرة العمران الى التلال تحتوي من بين ما تحتويه رداً على دعوات شارون لاحتلال واستيطان تلك التلال.

التمدد العمراني على التلال احد اهم الأشكال المتاحة لمواجهة الاستيطان وحماية الأرض وانتزاعها من بين مخالب الاحتلال.

شخصياً أشعر بالزهو عندما أرى الضواحي الجديدة وهي تتسلق إلى تلك التلال، لان الصراع على الأرض هو صراع البقاء والصمود، وأشعر ان احد اهم المعايير في رؤية المدن والضواحي الجديدة هو معيار التشبث بهذه الأرض والصراع على كل سنتيمتر منها، وهذا هو الوجه الآخر وربما الأهم في المعادلة، على الرغم من أن هذه الضواحي والمدن تعبر بنا الى المستقبل عبر بوابة الحداثة والتنوّر، إضافة إلى بوابة المواجهة مع الاحتلال وفي ملف الاستيطان تحديداً.

وبالمناسبة فإن كل قيمة مهما كانت لا تعبر بنا إلى المستقبل هي قيمة مشكوك بأهميتها مهما انطوت عليه من مظاهر.

أطراف النهار

«عود أخضر» لسعادة

أخي حسن؛ تحية، وحباً، واحتراماً: حدستُ، دون أن أقول ذلك حتى بيني وبيني، انك ستصل - يوما - الى ترشيحا. لديك أسباب كثيرة لتفعل - حتى لو لم يكن قريبي خالد درويش معك - لعل أبرزها ان تغيظني .. وقد نجحت مرة أُخرى!

غضبت جدا، بعد مقالتك الأولى « .. ولنا زلزالنا!» كيف جرؤت على القول: ان «العيلة « الترشيحاوية 5000 إنسان؟ .. فقط؟ في سورية وحدها نحو 20 ألف ترشيحاوي .. يا صاحبي ! أم أردت استثنائي من هذا الانتماء الأول!!

ولكي «تفرفح» اكثر، فقد جعلتَ غربتي القاسية في هذه الأرض، التي تهوّم فيها ارواح الهنود الحمر، اكثر قسوة .. اكثر بكثير.

لم أشعر مرة انني - أنا المولود في مخيم النيرب، على يد الداية «ام فريد» - بعيد عن ترشيحا .. كانت دائما معي. لكنني - الآن، وانت تكمل «عودتك» بالحج اليها - أشعر (يا الله) كم انا بعيد، ووحيد، ومهجور؟!

وعندما تعود الى هناك، مرة اخرى، (.. وستعود) سلم لي على ستي الحاجة عايشة الخليلي، و«بوس» ايدها، وقل لها ان ستي ام صالح سوداح؛ فاطمة عبده حيدر، قد أعطتها عمرها، قبل نحو عشر سنوات؛ ماتت ثمانينية او تسعينية، لكن قوية وصارمة، كما عاشت، ودون ان تفقد سنا او ضرسا واحدا. أمانة .. ان تتلو - هناك - الفاتحة على أرواح أسلافي / ضحايا الملجأ: عبد ربه، وسليم، ويونس سوداح. واسأل عن قريبي زكي ابو هاشم، ابن المرحومة الحاجة زهية سوداح، وسلم لي عليه، وعلى أولاده، وأحفاده. واسلم لأخيك : سعادة سوداح. انتظر منك صورة الحاجة عايشة.

أخي سعادة سوداح (أبا رضا الترشيحاني):

سلاماً:

كنتَ - أنتَ بالذات - ثالثنا نحن الاثنين. بعيني الثالثة (أنت) رأيت ترشيحاك .. وما قصدتها الا لمآرب بينها أن «أغيظك» على تسفيهك «عودتنا «؛ وبينها ان انتقم من هزائمي المنكرة أمامك على ملعب «طاولة الزهر».

عندما عزّت علينا زيارة الشام، تمنيت على والدك في نيقوسيا طاولة زهر شامية مطهمة، طالما قهرتني عليها.

صدقني: عدت بها .. وسأهديها الى قريبك زكي ابو هاشم، ابن المرحومة الحاجة زهية سوداح. «(...) نمد جسومنا جسرا / فقل لرفاقنا ان يعبروا» .

غير أنني أجدل رمش العين بعصب القلب، من اجل ان يرى رفيقي (المسمّى على اسم المعلّم انطون سعادة) ترشيحاه بعينيّ، أنا الطيراوي - الحيفاوي.

ولستَ بعيدا، ولستَ وحيدا .. وأنت المهاجر لا المهجور. قال النفّري (محمد بن عبد الجبار) المتوفى 956ميلادية: «فقال لي: ليس من أهل الغيبة من لم يكن من أهل الرؤيا».

وقال الإمام علي: «العجز عن دَرَك الإدراكِ ادراكُ / والبحث عن سر ذات السرّ إشراك».

طالما استضفتني في عمودك «عود أخضر» بنيقوسيا. من رام الله أهديك «زر» ليمونة صغيرة جدا، خضراء جدا قطفتها من شجرة في ترشيحا بنيّة إرسالها إليك.

سلاما لزوجتك فاطمة، وكريمتك نوال (ابنتي ضياء لا تنساها) ولابنك رضا، ولصديقنا عوض وحرمه سورية .. والى أولاد الخال: علي وسعيد وحسن عباس، انهم من طيراوية حيفا .. سبقوك الى كندا. كتبتُ، قبلا، عن «المسمية» فالتقط ما كتبت واحد من أهلها مقيم في الهند، الى واحد من اهلها مقيم في بريطانيا. اخترتُ «أطراف النهار» ليصلكم الوطن في «آناء الليل» في المنفى.

سلاماً لأيامنا الشامية، البيروتية، القبرصية.. وسلاما لأيامك الكندية، ووعدا لأيامك الترشيحاوية المقبلة، ولو بجواز كندي.

«الحياة وقفة عزّ» كما قال انطون سعادة، غير ان سعادة الترشيحاوي يدفع ثمن «وقفة العز» من أوسلو. وسلام لأشباح الهنود الحمر في Mississauga ، ولي أطياف أجدادك في ترشيحا؟ هل قسوت عليك بقدر قسوتك على هزائمي أمامك في «الشيش - بيش» وأنت تسخر من تحدياتي بأن أهزمك يوما، قائلا مع المتنبي: «بيْدٍ دونها بيْدُ».

بيني وبينك بواد وفياف، قارات ومحيطات.. غير انك كنت معي .. كنت ثالثنا.

.. وسلاما لرحيق الروح في ذلك الكوخ الخشبي القبرصي الذي يحمل اسما حديدياً. هناك كنا نجلو صدأ أيامنا، فإذا أعصابنا من نحاس .. وقلوبنا من ذهب .. ولن اذكرك بهزائمك أمامي في «البلياردو». سأترك لك ان تضرب الطابة السوداء، الرقم 8. وتعرف انه رقم ديالكتيكي .. ويرسم نجمتنا.. ويرسم بوصلة عودتنا .. من ثمانية أركان الأرض؟!

حسن البطل
١٩٩٩-٥-٣٠

الأيام
جريدة يومية سياسية
تصدر عن
شركة مؤسسة الأيام
للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

رئيس التحرير : أكرم هنية

بريد ألكتروني:
E-mail: info@al-ayyam.ps
www.al-ayyam.ps
www.al-ayyam.com
عبر الهاتف الذكي

العنوان البريدي:
الأيام - ص.ب 1987 رام الله - فلسطين
المقر الرئيسي: 39 شارع الأيام - رام الله
هاتف: 02-2987341/3/4/5 فاكس: 02-2987342

الطباعة: مطابع الأيام - رام الله